

الثمرة الأولى لثورة فلسطين

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لم تعد قضية فلسطين خافية على أحد

فلقد امتلأت الأجواء بضجيج الأمواج اللاسلكية حاملة على أجنحتها أخبار فلسطين وأبناءها ، وأصبحت ثورتها حديث الناس في مجتمعاتهم وأنديةهم ومجالسهم ، حازت إعجابهم إعجاباً أحاطه عطف وشعور وإشفاق . وقال الناس للناس : ألم تروا كيف عرف عرب فلسطين طريق الحياة فشقوها ، وقاموا بالمعجزات في نهضتهم ، وضربوا المثل الأعلى في التضحية ، ودقوا باب الحرية باليد المضرجة ، فأعلنوا سخطهم على سياسة الانتداب بالاضراب العام الشامل والاضطراب ؛ وقد مر عليهما ما يقرب من سنتين أشهر ، وهم معطلون أشغالهم ومصالحهم ، نأزرون في سبيل قضية إنسانية عادلة - قضية الدفاع عن الكيان - ناقون على من يريد إذلالهم وإخضاعهم ، عازمون على مواصلة الكفاح ، الى أن يحق الله الحق ، والى أن ترجع بريطانيا عن نواياها نحو بلادهم

لفتت قضية فلسطين أنظار العالم ، وتطلع إليها ، فشمها

أبقى على الزمن الباقي من الزمن . ثم ألا تزال صيحة ميرابو داوية يوم صاح في وجه رسول الملك : « اذهب وقل لمولاك : إننا مجتمعون هنا بإرادة الشعب ولا نخرج إلا بقوة السيوف ! » . ثم ألا يزال التاريخ يذكر صيحة نابليون وجنوده : « إن أربعين قرناً تشرف عليكم من ساء هذه الأهرام » . وأخيراً أو ليست خطبة طارق بن زياد خالدة على وجه الزمان حين جلجل بكلمة الحق وأهاب بجنوده : « العدو أمامكم والبحر وراءكم ... » فأقسموا أن يقاتلوا حتى تدين لهم بلاد الأندلس أو يموتوا دون الغاية والآن نسأل : هل الخطابة ملكة أم اكتساب ، وموهبة أم مران ؟

ولكننا نرى أن قد امتد بنا نفس الكلام الى حد نخشى معه اللئ فوعدنا مملك الأسبوع القادم إن شاء الله
هيد المير نافع المرامي

الملمون بمطعمهم والعرب بتأييدهم ، وامتلأت نفوسهم آلاماً لما أصاب عرب الأرض المقدسة

وقاموا متضافرين غاضبين من أجلهم يناصرونهم ويدعون الى إنصافهم ومساعدتهم ، وعقدوا العناصر على صيانة فلسطين وحفظها ، فقويت الأواصر بينها وبين البلاد المحيطة بها ، وتوثقت العرى واشتبكت الوشائج ، وتهدد ملوك العرب وأمراؤهم ورجالات الاسلام بقضية فلسطين تعهداً يرفع عنها الظلم النازل بها ويضمن لها كيانها العربي ويدفع عنها أي اعتداء على مقدساتها ، تعهداً أخرج فلسطين من حيزها الضيق الى حيز العالم العربي ، فأصبحت بذلك جزءاً من القضية العربية الكبرى وعاملاً من عوامل السلام في الشرق العربي

هذه هي الثمرة الأولى التي جنبها فلسطين من ثورتها وغضبها وما كان لهذه الثورة أن تثمر هذه الأثمار لولا خاصيتان امتازت بهما على غيرها من الثورات :

الأولى أنها امتازت بالشمول ، إذ اشترك فيها جميع الطبقات كل بحسب دائرة اختصاصه ، ولم يحن الوقت لتفصيل ذلك ، ولولا هذه الخاصية لما كانت حركة فلسطين على ما هي عليه من القوة والمزعة والمضاء

والثانية أنها امتازت بالسمو ، وهذه الخاصية هي التي أكسبت الثورة روعتها وجلالها وقديستها وجلتها محل إكبار الشعوب وموضع دهشتهم . فقد سمت النفوس وبمدت عن الأهواء والنايات الشخصية واعتنقت مبادئ الثورة المقدسة ، فاذا المرى في فلسطين يسمو بنفسه ويرتفع بها الى العلاء ، وإذا هو في جو من الروحية نزع الأحقاد من الصدر وأحل الوثام محل الخصام ونشر ألوية المودة والمحبة والرغبة في التعاون بين الناس وإذا هو لا يرى في سماء بلاده إلا أرواح الصحابة والسيديين والشهداء ، ولا يرى في أرض بلاده إلا دماء هؤلاء مبثوثة بين ذرات التراب ، وإذا المرى في فلسطين اليوم غيرهم بالأسس ، شغلهم الاخلاص وشغلهم حب الوطن فشغلوا العالم بما شغلهم وقالوا قولاً صريحاً الى الأجيال لا غموض فيه ولا التواء :

لن تكون فلسطين وطناً قومياً لليهود

ولن يكون في فلسطين وطنٌ قومي لليهود

(نابلس) قدرى حافظ طوقان